فصل 3

العرق والدين

سقف الزجاج الملون

نزعة أخيرة بشأن النساء في العمل. ربما تستطيع النساء الهيمنة على مهن تتطلب إسهاباً في الكلام في أمريكة، مثل الصحافة، والعلاقات العامة، والقانون، لكن تفوق النساء يصبح أكثر تعقيداً عندما يتعلق الأمر بمهن «الكتاب المقدس».

في العقدين الأخيرين، كان عدد الكهنة من النساء قد تضاعف أكثر من ثلاث مرات. تخطت النساء في مدارس اللاهوت عتبة 51 %. في السنوات العشر الأخيرة، تضاعف عدد النساء اللواتي يتخصصن في الدين أو اللاهوت أكثر من مرتين، في حين لم يتضاعف العدد بالنسبة للرجال أكثر من النصف. نشهد حالياً نمواً مثيراً لكهنة جدد، مع مجموعة جديدة من الأولويات الشخصية التي تقودهن للانضمام إلى العاملين في الكنيسة. وبالرغم من أنهن يتلقين العلوم في مدارس اللاهوت، إلا أنهن لا يزالن يبحثن عن مكانة دائمة في الحياة الدينية في أمريكة.

يبدو أن النساء اللواتي يرتدين لباس الكهنة يمتلكن شعوراً عميقاً بأن العالم يحتاج إلى إصلاح. الكهنة النساء، أكثر غالباً من زملائهن الرجال، نشيطات جداً في القضايا السياسية والمدنية. وفقاً لدراسات عن الكهنة النساء، قضيتهن الأساسية حتى الآن هي الرفاه الاجتماعي، بما في ذلك الفجوة المتزايدة بين الأغنياء والفقراء. يأتي لاحقاً التسامح والحقوق، بما في ذلك العنصرية؛ يتبعها النظام والأخلاق العامة؛ ثم حقوق الشواذ. يقع عند أسفل قائمة اهتمامهن الدفاع والسياسة الخارجية؛ وفي تناقض صارخ مع العديد من الكهنة الرجال في أمريكة، ربما تكون آخر أولويات القساوسة النساء «القيم العائلية» أو «الاهتمام الروحي والأخلاقي بأن الأمة تبتعد عن الرب».

ربما لا يكون مفاجئاً، عند النظر إلى القائمة، أن نجد أن الكهنة النساء متحررات أيضاً، وأحياناً إلى حدٍ مفرط، ويدعمن عادة المرشحين الديمقراطيين لمناصب مختلفة.

قبل جيل، كانت العديد من أولئك النسوة سيعملن معلمات، عاملات اجتماعيات، ومتطوعات مدنيات، لكنهن يمزجن الآن التزاماتهن بالعدالة الاجتماعية بإيمانهن الشخصي، ويرتقين منابر الوعظ ومراتب الكهانة.

سيؤدي ارتقاء النساء سلم الترتيب الكهنوتي إلى حدوث بعض التغييرات في الدين الأمريكي. يقول كل من الكهنة الرجال والنساء للقائمين على استطلاعات الرأي: إن الكهنة من النساء أكثر اهتماماً بشأن الحياة الفردية لأعضاء المحفل الكنسي، وأكثر استعداداً للاستفادة من تجارب شخصية عند الوعظ، والتعليم، وتقديم النصائح. يُقال أيضاً: إن النساء أقل اهتماماً بكثير بالسياسات الكنسية، والسلطة على الآخرين، ومكانة العمل. ويُقال: إنهن أكثر ترحيباً بالوافدين الجدد الذين تم إبعادهم من أماكن أخرى.

لكن مع كل هذه الإسهامات، وارتفاع أعدادهن، تواجه الكهنة النساء بعض التحديات الخطيرة جداً. يبدأ الأمر مع الضغط الشخصي الذي تشير دراسات إلى أنه أكبر كثيراً مما يشعر به الكهنة الذكور. في دراسة عن 190 كاهناً امرأة بروتستانتية في أنحاء البلاد، قالت 60 % منهن: إن نومهن غير مستقر، 56 % إنهن يشعرن برغبة في ذرف الدموع، وأكثر من ثلثهن (35 %) إنهن «لم يستطعن التخلص من الكآبة حتى مع مساعدة العائلة والأصدقاء». أكبر تحدٍ حتى الآن، كما تقول الكهنة النساء، كان تحقيق توازن بين العمل والعائلة. يمكن أن يصبح العمل الرعوي على مدار الساعة والعناية بالأطفال في المنزل شاقاً جداً. وفيما لدى معظم الكهنة الرجال زوجات يؤدين أدواراً قيادية في الكنيسة، تجد الكهنة النساء أنفسهن يقمن بكل من واجبات الزوجة والكاهن. أخيراً، بالنسبة للكاهن المرأة العزبة، مواعدة الرجال تحدٍ كبير جداً. يُقال: إن معظم الرجال يخافون كثيراً من الكاهن المرأة غير المتزوجة، وأولئك الذين لا يخافون - مثل زملائهن الكهنة الرجال- مشغولون جداً ليكونوا شركاء مثاليين. (تخيل أن تلتقي عضو أخويتك في موعد غرامي مع كاهن).

بوجه عام، يبدو أنه حتى تلك الديانات التي تعترف بالكهنة النساء تقاوم أن يؤدين دوراً كبيراً فيها. هناك ظاهرة شائعة على نطاق واسع بين الكهنة النساء -معروفة باسم

«سقف الزجاج الملون»- أنه على الرغم من أنهن ينهين تدريبهن بأعداد تساوي أو تفوق أعداد الرجال، إلا أن ارتقاءهم سلّم الترتيب الكنسي يتم ببطء شديد. حتى يومنا هذا، تنظيم ديني كبير -بأي ديانة- تقوده امرأة وحدها غير معروف البتة.

يقول بعضهم: إنها مسألة وقت فقط قبل أن تخترق الكهنة النساء «سقف الزجاج الملون». كنا قد أحرزنا تقدماً جيداً في مهن أخرى -خاصة تلك التي تتطلب إسهاباً في الكلام- وربما يستغرق هذا الميدان وقتاً أطول؛ لأن «التعديل الأول» (على الدستور) يمنع اللجوء إلى قوانين مكافحة التمييز. (لهذا السبب، دون خوف من العقوبة، يمكن أن يحرم القساوسة الرجالُ النساءَ من مهنتهم بالقول فقط: «عندما تبع آدم نصيحة زوجته وتناول الفاكهة المحرّمة، انظر إلى أين قادنا ذلك»).

لكن نظرة أعمق على كفاح الكهنة النساء تكشف أن ما يأتي أولاً قد لا يعني «أنباء جيدة».

في السنوات الخمسين الأخيرة، كل مجموعة دينية رئيسة تقريباً في أمريكة سمحت بدخول النساء سلك الكهنة قد شهدت تراجعاً كبيراً في عدد أعضائها. وشهدت كل مجموعة دينية حظرت على النساء العمل في شؤون الدين ازدياداً كبيراً في عدد أعضائها. كما يُظهر الرسم البياني أدناه، تراجع أعداد معظم الجماعات البروتستانتية الرئيسة التي تسمح بوجود قساوسة من النساء، في حين ارتفعت أعداد معظم الجماعات الأخرى التي تقصيهن عن مثل تلك الأعمال.

يمنع الكاثوليك في أمريكة، الذين يصل عددهم إلى رقم كبير لا يمكن تضمينه في هذا الرسم البياني، النساء من العمل في مجال الكهنوت، وقد ازداد عددهم في السنوات الخمسين الأخيرة من 42 إلى 67 مليوناً. يمنع المسلمون الأمريكيون، بالرغم من عددهم الصغير الذي لا يمكن إظهاره في هذا الرسم البياني، النساء من امتهان العمل في الدين؛ وقد زاد عددهم من 527.000 سنة 1990 إلى 1.1 مليون شخص سنة 2001. وفقاً لدراسة «تحديد الديانات الأمريكية». (ربما يكون عددهم قد أصبح أكبر كثيراً الآن). تؤدي الهجرة دوراً مهماً في هذا الشأن أيضاً، لكن الأنماط تبقى على حالها.

نمو/تراجع الأديان الرئيسة في الولايات المتحدة، 1960-2002

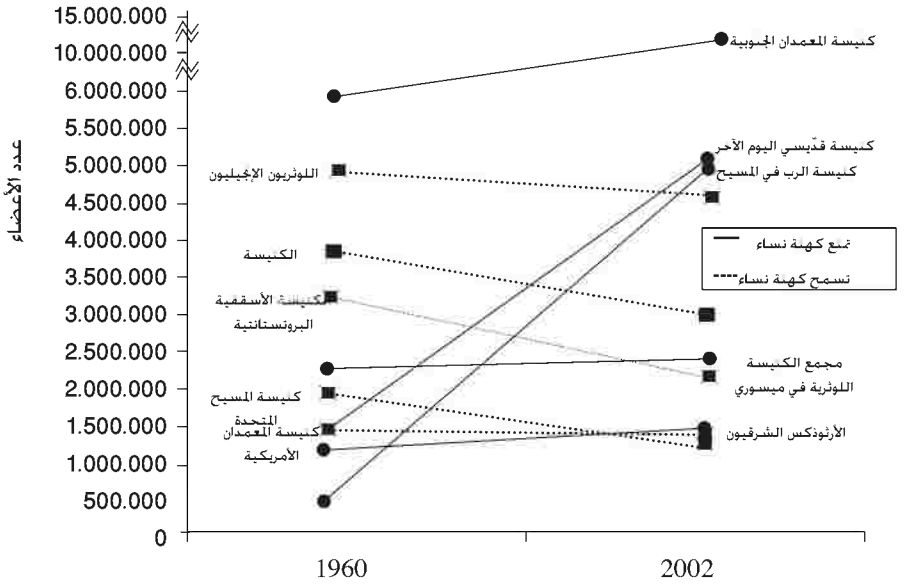

المصدر: بيانات إحصائية عضوية الكنائس النصرانية في الولايات المتحدة: 1960-2002

سيجد بعضهم دافعاً للقول: إن وجود النساء في مواقع معينة يدفع بالناس إلى الابتعاد عنها. من يحتاج إلى قول القديس بول: «لا أسمح لأي امرأة بالتعليم أو امتلاك سلطة على الرجال»، إذا كنت تستطيع الاستفادة من نزعة تجريبية لإثبات أنك إذا أردت نشر دين معين، ينبغي لك منع النساء من العمل الكهنوتي فيه.

لكن على الأرجح فإن القبول بدخول النساء السلك الكهنوتي جزء من نزعة تحررية كبيرة تصبح هي نفسها غير مقبولة بين بعض رجال الدين. تمثل الكهنة النساء، اللواتي يرتقين السلم كما فعلن مع حركة التحرر النسائية، دمج المجتمع المدني المتقدم بالدين. لكن التقدم ليس ما يصبو إليه كثير من الناس صبيحة يوم الأحد. يقول 77 % من الناس الذين يواظبون على الذهاب إلى الكنيسة: إنهم يفعلون ذلك لأنها تخاطب قلوبهم؛ في حين يقول 23 % فقط: إنهم يذهبون بسبب الطريقة التي تخاطب بها عقولهم. بالنسبة للأنشطة

السياسية، والالتقاء بالأصدقاء، ونشر الأخلاق؛ يظن الناس أن بمقدورهم الذهاب إلى نادي سيرا Sireea. إذا ذهبوا إلى كنيسة، فإنهم يبحثون عن الإلهام، والخوف، والإيمان. وهكذا تعمل الكهنة النساء على إيجاد أسلوب يمنح الدين المزيد من المشاعر، وهذا شيء جديد تماماً على أعضاء المحافل الكنسية القدامى.

بالطبع، لا ينبغي الخلط بين عضوية المحفل الكنسي والحقيقة. بدأت كل أديان العالم العظيمة صغيرة. لهذا على الرغم من أن عضو الطائفة الدينية قد يقول الكثير مما يرغب الناس في سماعه، سيجادل الكثيرون بأنه لا يقول شيئاً مما يريده الرب، أو عما يبحث عنه أعضاء الطائفة بمرور الوقت. تظهر الإحصائيات القديمة الآن أن هذه الطبقة الجديدة من الكهنة النساء يعانين الأمرّين؛ لأن الأديان المتشددة تنتشر والأديان المتسامحة تنحسر. لكن هذا المؤشر كان قد تأرجح مرات عديدة من قبل، ودور الدين اليوم في العديد من النزاعات في العالم قد يسبب رد فعل على الاستقطاب الديني، وربما تكون كهنة سقف الزجاج الملون رائدات في حركة جديدة تصبح حجر الزاوية في دين جديد. ربما يكون إجماع الآراء مستبعداً الآن، لكنهن يتحفزن للعودة مجدداً. كما قد تكون أمريكة مستعدة لوصول أول امرأة إلى البيت الأبيض، كذلك نحن مستعدون أيضاً لأول بيلي غراهام - أول كاهن امرأة تثير إعجاب البلاد عبر قوة التلفاز، وربما حتى الإنترنت.

محبة السامية

في واحد من المشاهد الطريفة لفيلم ودي ألان سنة 1977 بعنوان آني هول Annie Hall، يذهب ألفي سنغر إلى منزل صديقته غير اليهودية في منطقة شيبوا، ويسكنسن، للقاء والديها. على الرغم من أن آني وعائلتها مضيافون كثيراً، ولم يتطرقوا البتة إلى اختلافاتهم الدينية مع الصديق، إلا أن ألان أظهر لنا كيف يتخيل ألفي أن جدّة آني تراه: رجلاً ملتحاً، من العالم القديم، مع طاقية وضفائر (المظهر التقليدي للرجال اليهود). ثار الجمهور اليهودي غضباً من جنون عظمة ألان. لكن لم يمضِ وقت طويل حتى تبين أن فكرة ألان -يعتبر غير اليهود تلقائياً أن اليهود أجانب وغير مرغوب فيهم - حقيقية.

اليوم، ربما يتم عرض ذلك المشهد من الفيلم على نحو مختلف. اليوم، ربما يرتدي ألفي في الواقع القبعة ويجدل شعره إلى ضفائر، وربما يجلس والدا آني هناك سراً يأملان بأن يكون ألفي الشاب الذي يتزوج آني.

اليوم في أمريكة، حب اليهود شغف للجميع، فهم مطلوبون في كل مكان. ما كان يبدو في الماضي أنه سبب حسد أو رفض اليهود قد تحول الآن إلى إعجاب وجاذبية. كان معتاداً أن يسعى اليهود إلى إقامة علاقات خارج نطاق الذين يعتنقون معتقدهم، ويعملون على إخفاء دينهم في أثناء ذلك لكن الآن هناك دليل متزايد على حدوث نزعة معاكسة: يسعى غير اليهود نحو اليهود.

اليهوديات، اللواتي لطالما تم تصويرهن على أنهن من يحضّرن العشاء، موضع اهتمام شديد الآن، ويتطلع إليهن الجيل الجديد بشغف. وحتى إذا كان صحيحاً أن بعضهن لا يتقنّ الطهي، فقد يعزى السبب إلى أن اليهوديات كن في طليعة الثورة المهنية في أثناء العقود القليلة الماضية، وأصبحن يمثّلن نسباً لا مثيل لها من الخريجات الجامعيات، وحاملات الشهادات العليا، وشاغلات الوظائف المهمة. (تحمل 68 % من اليهوديات بين 25-44 سنة شهادة جامعية، وهي أعلى نسبة حتى الآن في أي مجموعة دينية في أمريكة).

في اقتصاد اليوم الذي يوفر خدمات شاملة ويعتمد على التعليم، أضحت أنماط العيش التي كانت خارج متناول الكثيرين ممكنة على نحو كبير الآن. وقد أضحى العُزاب اليهود (من كلا الجنسين) موضع اهتمام الأشخاص الذين يبحثون عن شريك حياة ناجح جيد الثقافة.

لم يكن الأمر على تلك الحال دائماً. كان لأمريكة حصتها من معاداة السامية؛ في سنة 1939، وجد استطلاع روبر Roper للرأي أن 39 % من الأمريكيين فقط يشعرون بأنه ينبغي معاملة اليهود مثل الآخرين. كان 53 % يظنون أن «اليهود مختلفون وينبغي تقييد نشاطهم». اعتقد 10 % في الواقع أنه ينبغي تهجير اليهود. في الأربعينيات، وجدت عدّة دراسات قومية أنه يتم اعتبار اليهود خطراً على رفاهية الولايات المتحدة أكبر من أي مجموعة قومية، أودينية أو عرقية أخرى.

قارن ذلك باستطلاع غالوب Gallup للرأي الذي تم في آب 2006. عندما سُئل الأمريكيون عن شعورهم نحو مجموعات دينية أو روحية مختلفة في الولايات المتحدة، تم تصنيف اليهود أعلى من أي مجموعة أخرى في أمريكة، مع نسبة إيجابية بلغت 54 %. لم تحصل أي مجموعة أخرى -بروتستانت، معمدانيين، كاثوليك، إنجيليين، أو نصارى متشددين، أو مورمن، أو مسلمين، أو ملحدين، أو علمانيين- على نقاط أكثر في نظر الأمريكيين على مستوى الأمة.

كانت «محبة السامية» قد تحولت، بالنسبة للبعض، إلى أفضلية شخصية. وفقاً لـ دجي-ديت J-Date، أشهر مواقع المواعدة اليهودية في العالم، ابتداءً من سنة 2007، لم يكن نحو 11 % من أعضائه يهوداً. هذا يعني أن عدداً يقترب من 67.000 شخص غير يهودي حول العالم، ونحو 40.000 أمريكي غير يهودي، يدفعون رسوماً شهرية للتمتع بميزة البحث عن يهود غير متزوجين ضمن قاعدة بيانات واسعة. في واحدة من استطلاعات الرأي التي قمنا بها في أيلول سنة 2006، قال نحو 4 من كل 10 يهود: إنهم سيكونون مهتمين «جداً» أو «نوعاً ما» بمواعدة أو التزوج من شخص ليس يهودياً.

كان أولئك الأكثر اهتماماً رجالاً كاثوليكاً متحررين إلى معتدلين، من طبقة متوسطة. (قليل من آني هول، وكثير من جوي تريبياني من مسلسل أصدقاء). إنه هذا الانجذاب

إلى الكاثوليك الذي يدعم السامية؛ لأن كلتا المجموعتين تشددان أساساً على قيم العائلة الكبيرة ولديهما قواعد صارمة للطعام - مزيج من اللحم الحلال وأقراص اللحم. كانت كلتا المجموعتين قد شعرتا بأنهما تعرضتا لتمييز في المعاملة في وقت من الأوقات، وحققت كلتاهما أخيراً مكاسب مهمة اجتماعياً. في مرحلة ما، بدا رئيس كاثوليكي أمراً لا يمكن التفكير فيه. لكن مع استطلاعات مثل تلك التي قامت بها غالوب - هل يمكن أن نشهد رئيساً يهودياً؟

ابتداءً من سنة 2006، كان هناك أحد عشر نائباً يهودياً في مجلس الشيوخ - أحدهم من أوريغون، ولاية لا يشكل فيها اليهود سوى أقل من 1 %.

جزء مهم آخر لمحبة السامية في أمريكة هو ازدياد الدعم القوي لـ«إسرائيل» من مناطق غير متوقعة. اليوم في أمريكة، هناك نصارى إنجيليون أكثر من اليهود يدعمون «إسرائيل». كان عضو مجلس الشيوخ بوب بينيت، الذي تبلغ نسبة اليهود في دائرته الانتخابية يوتاه 0.2 %، متحدثاً أساسياً أمام حشدٍ موالٍ لـ«إسرائيل». يتمتع الرئيس جورج دبليو. بوش -الذي كانت تنظر الجالية اليهودية إلى عائلته فيما مضى بتشكك كبير- بأعلى معدل شعبية في بلد واحد فقط في العالم: «إسرائيل».

عندما أجرينا استطلاعاً للرأي عن محبة السامية، السبب رقم واحد الذي حصلنا عليه للرغبة في الحصول على زوجة يهودية هو القيم القوية، وأقر نحو الثلث تقريباً أنهم ينجذبون إلى المال، المظهر، أو الشعور بأن اليهود «يعاملون أزواجهم على نحو أفضل». في سنة 2004، عملت مع عضو مجلس الشيوخ جوزيف آي. ليبرمان، يهودي أرثوذكسي، في حملته ليصبح رئيساً. بالرغم من أنه فشل في الفوز بترشيح حزبه، إلا أن تشديده على القيم قدم مثالاً زاد من الاهتمام بحياة اليهود في أمريكة. في أثناء حملته، قال له يهود أكثر بكثير من غير اليهود: إنه لا ينبغي لليهودي أن يهرب. لكن شعوره القوي بالمسؤولية خدمه جيداً سنة 2006. عندما هبّ جمهوريون ومستقلون -لم يكونوا يدعمون قبلاً مرشحاً يهودياً- لمساعدته عندما أحجم ديمقراطيو كونيكتيكت عن ترشيحه لإعادة انتخابه إلى مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة.

يبدو أن ثقافة البوب (الشعبية) قد اكتشفت، أيضاً، محبة السامية. عندما ألزمت مادونا نفسها بالقبلانية (صوفية يهودية)، وهي حركة دينية تمتد جذورها إلى الباطنية اليهودية، تعرّف جيل جديد بأكمله في أمريكة إلى حياة اليهود. ليست من نوع سينفيلد -حيث تحوم الثقافة اليهودية بهدوء في الخلفية- لكن من النوع الديني الفريد، والمميز. أمر مسلَّمٌ به، لكن بعضهم ظن أن مادونا تمادت فيه: في أثناء جولتها سنة 2004، رفضت بكل وضوح شرب أي شيء سوى «ماء قبلانية»، ولم تكن تقدم عروضاً في أمسيات الجمعة احتراماً ليوم السبت اليهودي.

حالما بدأ غير اليهود الاهتمام باليهودية، انغمس اليهود فيها أكثر، أيضاً. في سنة 2005، اعتمر الفنان الموسيقي اليهودي ماتيسياهو (اسم ماثيو باليهودية، أو «هبة الرب») طاقيته وجدل شعره، وغنى عن قوة الرب؛ ليرفع من شأننا، وشاهد الظهور الأول لقرصه المضغوط الثاني في وسائل الإعلان. الجديد هنا هو أن يهودياً استطاع تحقيق نجاح كبير في موسيقا الروك آند رول. كان كثيرون، مثل روبرت زيمرمان، الذي غير اسمه إلى بوب ديلان، يرتدون الجينز وقمصاناً دون أردان، غنّوا عن أمريكة، وأذهلوا جيلاً بأكمله. الجديد أن ماتيسياهو بدا قادماً من كنيس بولندي في القرن الثالث عشر، يغني بمزيج من اليدش (عبرية قديمة تكلم بها يهود أوروبا الشرقية) والعبرية، ويجذب معجبين من أوكلاهوما.

فيما تنتشر محبة السامية، تنتشر كذلك العادات اليهودية المتميزة - حتى عندما لا يوجد اليهود في الأرجاء. بدأ غير اليهود إقامة ميتزفاخ، احتفال «البلوغ» الديني اليهودي عندما يبلغ عمر الطفل 13 سنة. مدونة كاملة مخصصة لآداب وطريقة استعمال تشوباخ، غطاء الزفاف اليهودي، في حفلات غير اليهود. يتناول غير اليهود بسعادة طوال السنة ماتزوخ، «خبز الأسى»، الذي يفترض أن يتقيد اليهود بتناوله في أثناء عيد الفصح اليهودي؛ إحياءً لذكرى خروج أسلافهم من مصر.

ربما بدأ كل هذا مع خبز الشعير وشطائر السجق، والاعتقاد الراسخ عميقاً أنها لو كانت كوشر (طعاماً حلالاً) لكان ذلك أفضل. عمل والدي في مجال لحوم الدواجن

الحلال في الخمسينيات، وواجه سوقاً تنكمش عندما تخلى اليهود عن الطعام الحلال. اليوم، مع التسويق المناسب، كان سيرحب بالطلب المتزايد من اليهود وغير اليهود على حدٍ سواء. إن كان هناك من شيء يمكن أن يستند إلى هذه النزعة، سيكون أن اليهودية لم تأخذ نصيبها من التسويق الجيد حتى اليوم.

وفقاً لتقليد يهودي، ينبغي أن يدرس غير اليهودي، ويسأل ثلاث مرات، قبل أن يتمكن من اعتناق الدين. ربما في الحقبة المعاصرة، سيخففون من ذلك الطلب، بعد أن أضحى غير اليهود الآن يستوعبون اليهودية بسرعة ولهفة كبيرتين. لكن في أثناء ذلك، يبدو أن الأعزاب اليهود (مثل المنتجات الوطنية اليهودية) ينبغي أن يتحملوا عبء «الاستجابة إلى نداء أسمى».

عائلات مختلطة الأعراق

ربما لم يكن هناك موضوع في التاريخ الأمريكي أكثر أهمية، إثارة للجدال، أو تداولاً من العلاقات بين الأعراق. ولهذا ربما يكون مثيراً للاهتمام أن تكون نسبة هؤلاء الأزواج على جبهة مزيج العرق-و-اللون قد تجاوزت عتبة 1 % في أمريكة.

اليوم، ما يزيد عن 3 ملايين حالة زواج في أمريكة مختلطة الأعراق. ويقول 83 % من الأمريكيين: إنهم يؤيدون زواج الأعراق المختلطة، لهذا تمثل هذه النزعة تغييراً كبيراً في مواقف وتسامح الأمريكيين.

كان أول استطلاع للرأي قمت به (عندما كان عمري 13 سنة) عن موضوع علاقات الأعراق في أمريكة. طلبت من كلية هوراس مان Horace Mann في مدينة نيويورك إجراء الاستطلاع ضمن حرمها، وقد عرضته سي-بي-إس CBS على نطاق قومي، عن مواقف أبيض-أسود. اكتشفت أنه عندما يتعلق الأمر بالعرق، كان أساتذتي أكثر معرفة وتحرراً من عامة الشعب (ربما كان ذلك بذرة افتناني بالطريقة التي يكون فيها لمجموعات مختلفة آراء متناقضة عن الأشياء نفسها). لكن حتى بين هؤلاء الأساتذة، لم يكن هناك ذلك النوع من القبول، والاحترام الذي نراه اليوم لدى الجيل الأصغر.

في سنة 1970، كانت هناك نحو 300.000 حالة زواج مختلط الأعراق في أمريكة، أو 0.3 % من السكان المتزوجين. بحلول سنة 2000، كان هناك أكثر من عشرة أضعاف ذلك الرقم - 3.100.000 - أو 5.4 % من كل حالات الزواج.

نزعة الزواج المختلط والذرية متعددة الأعراق مهمة بما يكفي لدرجة أنه في سنة 2000، للمرة الأولى، سمح مكتب الإحصاء في الولايات المتحدة للأمريكيين بملء عدة خانات من «العرق» - كان هناك 63 مزيجاً عرقياً محتملاً لا يتضمن «أخرى».

من ينحو للاختلاط، عرقياً؟

وفقاً لبيانات «مركز أبحاث بيو Pew» من سنة 2006. على الرغم من أن أغلبية أزواج الأعراق المختلطة تتضمن لاتيناً (من أمريكة اللاتينية)، إلا أن النموذج الأكثر شيوعاً لأزواج الأعراق المختلطة (14 %) هو رجل أبيض يقترن بامرأة آسيوية.

أزواج الأعراق المختلطة في الولايات المتحدة، 1970-2000

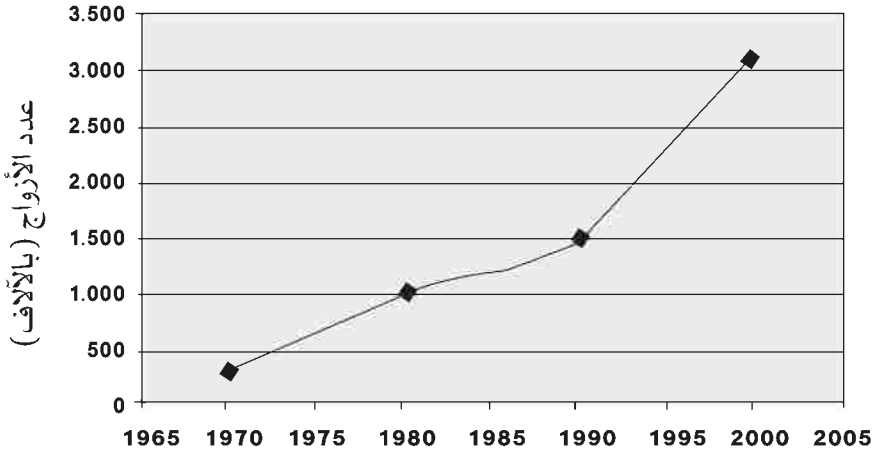

المصدر: مكتب إحصائيات السكان. 2005 .

ثانياً، بنسبة 8 %، رجل أسود يتزوج امرأةً بيضاءَ. المثير للاهتمام أن (أزواج أبيض-آسيوي) من رجال بيض مع نساء آسيويات أكثر بثلاث مرات من العكس؛ ويكون أزواج (أسود- أبيض) من رجال سود مع نساء بيض أكثر بثلاث مرات من الحالة المعاكسة. كان مراقبون قد علّقوا على مظاهر تراجع حالات زواج النساء السود والرجال الآسيويين نتيجة لذلك - بالرغم من أنه لا يبدو أن أفراد تلك المجموعتين، كما قد يتوقع المرء بمعادلة رياضية بحتة، يمكن أن يتزوجوا بعضهم بعضاً).

إضافة إلى ذلك، تقع حالات الزواج المختلط الأعراق أكثر في الغرب مقارنة بالجنوب، الشمال الشرقي، أو الغرب الأوسط. على أي حال، يقول استطلاع للرأي قامت به مؤسسة غالوب أخيراً: إن الشرقيين هم أكثر من يقول: إنهم يقبلون زواج أسود-أبيض. هذه هي

الفجوة الشهيرة بين أولئك الذين يتكلمون ويتكلمون فقط وأولئك الذين يسيرون على الدرب – في هذه الحالة على الممر في حفل الزفاف.

لا يقتصر الحب بين الأعراق على العلاقة العاطفية – يتسع أيضاً ليشمل تبني الأولاد. بين سنتي 1998 و2004، قفزت نسبة الأولاد الذين يتم تبينهم من أعراق مختلفة في أمريكة (يعني ذلك عادة أولاداً سوداً يتبناهم والدون بيض) من 14 % إلى 26 %. بين سنتي 1990 و2005، تضاعف عدد الأولاد الذين يتم تبنيهم من والدين أمريكيين ويأتون من دول أخرى مثل الصين، وغواتيمالا، وكوريا الجنوبية، ثلاث مرات – ارتفع إلى نحو 18 % من كل عمليات التبني، أو 20.000 عائلة كل سنة.

حتى عند جمعها معاً، لا يزال عدد العائلات مختلطة الأعراق لا يشكل سوى جزءٍ صغيرٍ من الأسر الأمريكية. لكنه ينمو بثبات، وسوف يستمر بذلك دون شك. السبب الرئيس هو أن قبول العلاقات مختلطة الأعراق قد ازداد كثيراً. في سنة 1987، كان أقل من نصف الأمريكيين يعتقدون أنه «لا بأس بأن يواعد السود والبيض بعضهم بعضاً»؛ وفي سنة 2003، أصبح أكثر من ثلاثة أرباع الأمريكيين يعتقدون أنه لا بأس بذلك.

ويظن الشبان اليوم أن الأمر مقبول تماماً. لم يترعرعوا على صيغة تستند إلى «التنوع» و«تعدد الثقافات» فقط، وإنما يعد الجيل تحت الثلاثينات اليوم الأكثر تنوعاً في التاريخ أيضاً. ربما نتيجة لذلك، يقبل أكثر من 90 % من الشبان علاقات الأعراق المختلطة، مقارنة بـ50 % فقط من الأكبر سناً.

ولا يقبلون ذلك فقط، وإنما يصبحون أطرافاً في تلك العلاقات أيضاً. في سنة 2002، قال 20 % من الذين تتراوح أعمارهم بين 18-19 سنة: إنهم يواعدون شخصاً من عرق مختلف، ارتفاعاً من نحو 10 % قبل عقد فقط. من بين أعضاء موقع ماتش.كوم .Match com، يقول 70 % : إنهم مستعدون لمواعدة شخص من عرق مختلف.

في المستقبل، يبدو أن العرق لن يكون سبباً للخلاف كما كان سابقاً. كان الرئيس كلينتون يحب أن يقول: إن الناس متآلفون معاً؛ لأنهم متماثلون وراثياً 99.9 % – مختلفون عشرة بالألف فقط. يبدو أنه حتى قوة تقسيم 1 % تلك تتضاءل.

مع هذا النوع من النمو الكبير في عدد حالات الزواج مختلط الأعراق، يمكن للعائلات التي تعيش حياة مختلطة الأعراق أن تتلقى بعض الدعم. يقول نحو نصف أزواج أسود - أبيض: إن الزواج بعرق مختلف يجعل الحياة العائلية أصعب. يقول ثلثا أزواج أسود - أبيض: إن والديّ أحد الطرفين على الأقل اعترضا في البداية. يبدو أن مشاعر أصدقاء وأقرباء المتحابين من أعراق مختلفة تذهب في كل اتجاه ممكن - مثل الدعم، والغضب، والاشمئزاز، والغيرة التي سيطرت كلها على كل من ويزلي سنايبز وأنابيلا سكوريا في حمّى الأدغال Jungle Fever لسبايك لي.

لا يزال ينبغي على والدين أبيضين يرغبان في تبني ولد أسود في أمريكاالخضوع لتدريب «كفاية ثقافية» - إيماءة إلى الأيام (من السبعينيات وحتى بداية التسعينيات) التي كان فيها التبني من عرق مختلف منتقداً بوصفه «إبادة جماعية ثقافية».

لكن إلى جانب حاجتها إلى احترامنا ودعمنا، تجذب عائلات الأعرق المختلطة من كل الأنواع اهتمامنا؛ لأنها ببساطة شديدة تتجاوز الافتراضات التي كانت قد قامت عليها السياسات، والتقاليد، والعادات المرتبطة بالأعراق في أمريكة لعقود.

مثلاً، ماذا يعني عمل إيجابي، في حقبة أضحى فيها أسلاف الناس ضحايا ومضطهِدين معاً؟ هل يحظى مثل أولئك الناس بمعاملة تفضيلية، أم لا؟

إلى متى سنلتزم بقاعدة «القطرة الواحدة» في تحديد عرق الناس؟ والدة عضو مجلس الشيوخ عن إيلينوي باراك أوباما بيضاء، وقامت بتربيته وحدها، لكن هل يسرد أحد قصته (بمن فيهم عضو مجلس الشيوخ نفسه) دون الإشارة إلى لونه الأسود؟ والدة هيل بيري بيضاء، أيضاً، وقد ربّتها وحدها. لكن السطر الأول من سيرتها الذاتية (وموضوع خطاب قبولها الأوسكار المطوّل) كان مكانتها كأول أمريكية - إفريقية تفوز بجائزة أفضل ممثلة. يزعم علماء الأعراق أن العرق تجربة، وليس حقيقة - لهذا إذا تمت معاملة شخص على أنه أسود، فسيكون أسودَ بغض النظر عن عدد «القطرات» التي تظهر عليه.

لكن ضمن نجوم مثل هؤلاء في كل ميدان - من أوباما في السياسة، وبيري في هوليوود، وتايغر وودز (نصف أسود، نصف آسيوي) في الرياضة - ليس هناك شك في أن الوصمة

التي تحيط بعائلات الأعراق المختلطة تتضاءل، وبالفعل، قبولها يزداد. كانت أمريكة قد قطعت شوطاً طويلاً من مشهد الوالدين المصدومين في فيلم «خمّن من سيأتي إلى العشاء» Guess Who's Coming to Dinner سنة 1967، عندما أحضرت ابنتهما سيدني بويتر إلى المنزل.

وبعد أن تبنت مادونا الآن طفلاً من مالاوي، وتبنت أنجيلينا جولي أطفالاً من إثيوبيا، وكمبوديا، وفيتنام، لم يعد هناك عائق أمام بناء عائلتك بقدر ما ترغب من التنوع العرقي.

بالطبع، سيجادل بعضهم بأن القبول المتزايد للعلاقات مختلطة الأعراق سيؤدي إلى خسارة الخصوصية التي كانت تتمتع بها كل مجموعة وعملت جاهدة للحفاظ عليها. يأسف الأمريكيون الأصليون الذين يتمتعون بأعلى نسبة زواج مختلط مقارنة بأي مجموعة عرقية أخرى في أمريكة، لفقدانهم تقاليدهم، ولغتهم، وهويتهم الخاصة بهم؛ وقد قاموا أخيراً بافتتاح متحف في واشنطن لإحياء ثقافتهم.

إحدى الأفكار الكبيرة لهذا الكتاب هي أن أمريكة لم تعد فرن صهر بعد الآن - أضحت المجموعات الصغيرة، بدلاً من ذلك، تحدد نفسها بطريقة حادة أكثر تميزاً من ذي قبل. إلى حدٍ ما، العائلات متعددة الأعراق استثناء. طوال مئات السنين، شهد هذا البلد انقسامات عرقية حادة، ويبدو أن تلك الانقسامات تتضاءل بطرق مثيرة جداً للاهتمام. لكن في الوقت نفسه، يمكن للناس أن يعبِّروا عن أنفسهم على نحو غير محدد سلفاً بالعرق أو العقيدة أو تاريخ الولادة، وإنما بتجاربهم ومعتقداتهم في الحياة. ويتعلم الأمريكيون كيف يكونون مختلفين ويقبلون الاختلافات بطرق جديدة. ربما ما يجعل الزواج مختلط الأعراق إشارة جيدة هي أنه يُظهر لنا أن الانقسامات القديمة يمكن أن تصبح قوى توحيد بمرور الوقت. لن ترغب أمريكة في تكرار النزاعات التي شهدتها بشأن الاختلافات العرقية عندما يتعلق الأمر بالدين، أو السياسة، أو الفن، أو الثقافة. فيما تأخذ نزعات مجهرية أمريكة في مئات الاتجاهات الجديدة، يمكن أن تفيد هذه الفكرة المركزية للتخفيف من التأثير المجتمعي على تطور المجتمع - القدرة على دفن الاختلافات القديمة دون السماح لاختلافات جديدة بأن تصل إلى مرحلة الغليان، كما حدث في الماضي.

الصورة الدولية

بالتأكيد، الزواج متعدد الأعراق ليس ظاهرة أمريكية بحتة. يبدو أن الناس في كل أنحاء العالم يتزاوجون عبر الأعراق، والحدود، والقارات - على الرغم من أن أسبابهم ربما تكون مختلفة عن تلك التي تدفع هذه النزعة المجهرية هنا في الولايات المتحدة.

كانت هذه النزعة في الزواج عالمياً قد حققت مستوى جديداً من الشعبية في آسية:

- في سنة 2005، وصلت نسبة الزواج بأجانب إلى 14 % من كل حالات الزواج في كوريا الجنوبية، ارتفاعاً من 4 % سنة 2000.
- في اليابان سنة 2003، كان 1 من كل 20 زواجاً جديداً يضم شريكاً غير ياباني. كانت أغلبية حالات الزواج هذه تتألف من رجال يابانيين يبحثون عن زوجات أجنبيات.
- نظراً لتزايد فرص العمل للنساء في اليابان، وكورية الجنوبية، وماليزية، وتايوان -وعدد الذكور غير المتناسب معهن- يجد الرجال في تلك الدول أنفسهم يستقلون الطائرات للزواج. ونساء من دول آسيوية أخرى سعيدات بهذا الارتباط. تحتل فيتنام المرتبة الثانية بعد الصين على قائمة أكبر مصدّري الزوجات في آسية: أكثر من 87.000 امرأة فيتنامية تزوجن أجانب في السنوات الثماني الماضية. تتضمن دول أخرى تستفيد فيها النساء من هذه الفرص تايلاند وأندونيسة.

أصبحت روسية معروفة في أثناء التسعينيات بأنها مصدر زوجات البريد للأمريكيين؛ لكن هذا قد تغير، بمرور الوقت، أيضاً. أخذت تركية الآن مكان أمريكة وأضحت المصدر المفضل للعثور على أزواج بالنسبة للنساء الروسيات. في سنة 2006، تضمنت أغلبية حالات الزواج الأممي في موسكو أزواجاً من تركية، يليهم أولئك من ألمانية، وأمريكة، وبريطانية، والمنطقة التي كانت تضم يوغسلافيا السابقة.

هناك جانب مظلم لكل حالات الزواج الأممية تلك، على أي حال. على الرغم من أن بعضها ربما يستند إلى الحب والعلاقات العاطفية، إلا أن معظمها تحتمه الضرورة. بعض الرجال الذين يبحثون في الخارج عن زوجات يفعلون ذلك لأسباب اقتصادية: لا يمكن لمعظمهم أن ينالوا، بسبب ضيق ذات اليد، زوجة من جنسيتهم. يتم ترتيب حالات زواج أخرى بهدف وحيد هو الحصول على الجنسية، ويتبعها مباشرة الطلاق. يتعرض العديد من هؤلاء في النهاية إلى عزلة وإساءة استعمال.

لكن حالات الزواج مختلط الأعراق، متعدد الوثنيات، والأممية ترتفع، وكذلك الذرية التي تنتج عنها. ربما تكون بينيتون Benetton على حق في شعارها.

اللاتين البروتستانت

خمّن أي بلد يرسل أكبر عدد من المهاجرين الكاثوليك إلى الولايات المتحدة؟ صحيح، المكسيك.

خمّن الآن أي بلد يرسل أكبر عدد من المهاجرين البروتستانت إلى الولايات المتحدة؟ نعم، إنها المكسيك مجدداً.

مكسيكيون بروتستانت؟ لاتين بروتستانت؟ بأعداد كبيرة؟

يعرف الجميع أن نفوذ اللاتين في أمريكة ينمو بسرعة كبيرة. في سنة 2006، هناك ما يزيد عن 43 مليون لاتيني في أمريكة، وقد ارتفع العدد من نحو 22 مليوناً سنة 1990. إذا أحصيت عدد سكان جزيرة بورتوريكو (4 ملايين)، وأخذت في الحسبان ما غفلت عنه الإحصائيات بالتأكيد، تصل أعداد السكان اللاتين في الولايات المتحدة إلى نحو 50 مليون شخص.

في سنة 2003، فاقت أعداد اللاتين أعداد الأمريكيين-الأفارقة بوصفها أكبر مجموعة أقلية في الولايات المتحدة. يشكلون الآن 14 % من سكان الولايات المتحدة، ونحو 8 % من عدد الناخبين - ارتفاعاً من 2 % فقط سنة 1976.

لكن بوجه عام، هناك اعتقاد سائد بأن المهاجرين اللاتين كاثوليك. ولأكون منصفاً، 70% من المهاجرين اللاتين كاثوليك، ومع معدلات هجرة عالية الآن، ارتفع عدد الكاثوليك اللاتين في الولايات المتحدة إلى رقم غير مسبوق وصل إلى 29 مليون شخص. تحمل الكاثوليكية نفسها رقماً قياسياً في عدد الأمريكيين الذين يعتنقونها (نحو 70 مليوناً) ويتوقع أنه بحلول سنة 2015 سيكون ما يزيد عن 50 % منهم من اللاتين.

لكن مجموعة فرعية جديرة بالاهتمام من اللاتين في أمريكة هم البروتستانت. وفقاً لكتاب صدر سنة 2005 بعنوان أديان اللاتين والنشاط المدني في الولايات المتحدة، قال نحو ربع اللاتين الأمريكيين: إنهم بروتستانت أو نصارى آخرون بما في ذلك شهود يهوه والمورمن. يشكل هؤلاء نحو 10 ملايين شخص في أمريكة- أكثر من عدد اليهود، أو المسلمين، أو رعايا الكنيسة الأسقفية في الولايات المتحدة. ومن هؤلاء اللاتين البروتستانت الذين يبلغ عددهم 10 ملايين شخص، يقول نحو 90 % منهم: إنهم ليسوا بروتستانت «عاديين» أو متحررين، وإنما رعايا كنيسة العنصرة (ذكرى نزول الروح القدس على الحواريين بعد خمسين يوماً من عيد الفصح اليهودي)، إنجيليون، أو «مولودون مجدداً».

إلى حدٍ ما، هذا كله جزء من انتشار واسع النطاق لرعايا كنيسة العنصرة، الذين ازداد عددهم من أقل من 50 مليوناً إلى أكثر من 400 مليون في أنحاء العالم في العقود القليلة الأخيرة. الواضح أن الهوية البروتستانتية لبعض المهاجرين اللاتين تعود في جذورها إلى بلادهم الأصلية. لكن الكثير منها يحدث هنا. وفقاً لدراسة سنة 2003 عن «الكنائس اللاتينية في الحياة العامة الأمريكية»، تراجع اعتناق الكاثوليكية نحو 15 % بين أول جيل من اللاتين الأمريكيين وأحفادهم. بالتأكيد، تخلي المهاجرين عن تقاليدهم الإثنية قصة فرن صهر قديمة - ما عدا أن الأمر الآن معكوس. لا «تمتزج»الأجيال الجديدة في أمريكة بقدر ما تختار هوية إثنية مختلفة.

يقول مراقبو اللاتين: إن التحول إلى العنصرة يتم على مستويات عدّة. تقدم كنائس العنصرة خدمات بلغات المهاجرين الأصلية، وتركز بقوة على الفرد. تهتم كثيراً بقيمة الحرية الاجتماعية والمادية، مما يتوافق مع الطموحات الشخصية لكثير من المهاجرين. تركيزها على الرعاية الشخصية ومداواة الجسد يجذب المهاجرين الذين يحصلون على أجور قليلة، وليس لديهم تأمين صحي. وفقاً لأحد الخبراء في ثقافة اللاتين في أمريكة، كهنة العنصرة في مجتمعات اللاتين مثل المسؤولين عن دوائر انتخابية في مدن شمال شرق أمريكة يقدمون وظائفَ، ورعاية صحية، وقروضاً، ودعماً اجتماعياً. بالنسبة للأشخاص منخفضي الدخل من اللاتين، مجتمع العنصرة مثل عائلة.

إضافة إلى ذلك، يُقال: إن اللاتين الكاثوليك ينجذبون إلى الفرص القيادية الكبيرة في حركة العنصرة. في حين يشكل اللاتين نحو 40 % من كل كاثوليك الولايات المتحدة، أقل من 8 % من القساوسة الكاثوليك الأمريكيين من اللاتين، وكثير من هؤلاء جاؤوا من كولومبيا وإسبانيا. لهذا بالنسبة للأمريكيين من أصل لاتيني، تقدم حركة العنصرة فرصاً أفضل وأسرع للقيادة.

وربما يكون الشيء الأكثر أهمية أن رعايا كنيسة العنصرة ينتشرون بكثافة. في بعض الأماكن، تكون لديهم وسائل تعاون كاملة من البريد المباشر إلى عناوين اللاتين، لإيصال الرسائل بسرعة، إلى «آداب اللياقة» التي تجذب كل الوافدين.

وما سبب أهمية ذلك؟ لأن اللاتين البروتستانت -الذين لا يعرف كثير من السياسيين حتى بوجودهم- قوة سياسية فاعلة. في الحملتين الانتخابيتين الرئاسيتين الأخيرتين، المجموعتان الرئيستان اللتان أحدثتا فرقاً في خسارة الرئيس جورج دبليو. بوش للتصويت الشعبي (والفوز بتصويت المجمّع الانتخابي بقرار من المحكمة العليا) سنة 2000. وفوزه الحاسم في كلا التصويتين سنة 2004. كانتا النساء البيض واللاتين. في سنة 2000. صوّت اللاتين لبوش بمعدل 35 % فقط. في سنة 2004. رفعوا دعمهم له إلى 40 %، وكانت استطلاعات رأي الخارجين من صناديق الاقتراع قد أوصلت النسبة إلى 44 %. كان ذلك تحولاً مثيراً، وبالغ الأهمية للرئيس. لكن إليكم ما هو جدير بالملاحظة. كان كل التحول بين البروتستانت اللاتين. كانت نسبة المؤيدين لبوش بين الكاثوليك اللاتين سنتي 2000 و2004 نفسها تماماً - 33 %. زاد اللاتين البروتستانت فقط من دعمهم لبوش من 44 إلى 56 %. كان اللاتين رعايا كنيسة العنصرة، غير المعروفين لمعظم الأمريكيين، إحدى القوى الرئيسة التي قررت نتائج انتخابات سنة 2004.

بعد تلك الانتخابات، من المنصف القول: إن الرئيس بوش والحزب الجمهوري تغاضوا عن النوايا الطيبة للمواطنين اللاتين عبر سلسلة من مشروعات قوانين الهجرة التي وجدها اللاتين من كل طائفة عدوانية. في انتخابات التجديد النصفي سنة 2006، كان اللاتين قد عادوا، على المستوى القومي على الأقل، إلى تأييد الديمقراطيين بنسبة 2 إلى 1 كما كان الأمر تاريخياً. كانت مشاعر حتى اللاتين من رعايا كنيسة العنصرة أكثر قوة

بشأن الهجرة من القضايا التي كانوا متوافقين عليها مع الجمهوريين. لكن، وفقاً لمركز بيو اللاتيني، في ستة انتخابات لمجلس الشيوخ ومنصب حاكم ولاية، حصل المرشحون الجمهوريون على دعم قوي من اللاتين. وبالنسبة لمرشح رئاسي جمهوري مختلف، أو في سنة لا تهيمن عليها نقاشات الهجرة العاطفية، يمكن توقع أن يكون اللاتين بوجه عام، ورعايا كنيسة العنصرة بوجه خاص، في صف الجمهوريين.

لا يميز السياسيون بين الناخبين اللاتين. صحيح، معظم اللاتين كاثوليك محافظون، ويفعلون كل ما ينبغي لإحياء الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة. لكن مجموعة متزايدة من اللاتين من البروتستانت ورعايا كنيسة العنصرة، وما عدا قضية الهجرة، فإنهم لا يتفقون مع إخوانهم الكاثوليك سوى بشأن القليل من القضايا. مثلاً:

- وفقاً لاستطلاع رأي أجرته مؤسستي سنة 2006، فإن عدداً كبيراً من اللاتين الكاثوليك (42 %) يعتقدون أن القضية الأكثر أهمية في الانتخابات الرئاسية هي الاقتصاد. على العكس من ذلك، عدد كبير من اللاتين البروتستانت (44 %) هم «ناخبو قيم». القيم، الكاثوليك، هي العامل الأقل أهمية في انتخابات رئاسية، ولم يقل سوى 23 % من اللاتين الكاثوليك: إنها تحتل مرتبة متقدمة بالنسبة لهم.
- عدد اللاتين الكاثوليك أكبر بثلاثة أضعاف على الأرجح من عدد البروتستانت الذين ينتمون إلى اتحاد عمالي، أو ينتمي إليه أحد أفراد عائلتهم.
- اللاتين الكاثوليك أفضل دخلاً قليلاً من البروتستانت. يبلغ دخل 23 % من اللاتين الكاثوليك 75.000 دولار أو أكثر، مقارنة بـ12 % من البروتستانت.
- أكثر من نصف اللاتين البروتستانت يتكلمون الإنكليزية وحدها، أو الإنكليزية مع القليل من الإسبانية. يصح ذلك على 28 % فقط من اللاتين الكاثوليك. أمر مسلم به أن اللاتين البروتستانت يمثّلون بوجه عام أجيالاً لاحقة من الأمريكيين، لكن الثابت أن هناك نزعة كبيرة تطول كثيراً من اللاتين الذين يصبحون حقاً «أمريكيين» فيما يتعلق بكل من استعمال الإنكليزية والانتماء إلى كنيسة العنصرة.

- ربما يكون الشيء الجدير بالملاحظة الفرق بين اللاتين الكاثوليك ورعايا كنيسة العنصرة فيما يتعلق بالإجهاض. في حين يؤيد اللاتين البروتستانت بقوة الحياة (58 إلى 26 %) - مجدداً، تذكر التحالف مع الرئيس جورج دبليو. بوش سنة 2004 - يؤيد اللاتين الكاثوليك اختيار الفرد، بنسبة 41 إلى 37 %.

اختلافات في الأولويات بين اللاتينيين الكاثوليك والبروتستانت، 2006

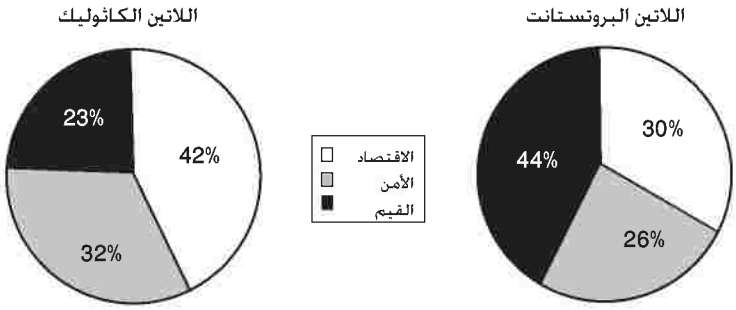

المصدر: مكتب إحصائيات السكان، 2006.

لغاية نشوب النزاع المتعلق بالهجرة سنة 2006، كان أعضاء الحزب الجمهوري قد حازوا مكانة خاصة لدى مجتمع اللاتين. الجدير بالملاحظة أن المجموعة الدينية الأسرع نمواً ضمن المجموعة العرقية الأسرع نمواً في أمريكة تبدو مثلهم تماماً: غير كادحة، وتناصر الحياة، وتؤيد اللغة الإنكليزية ومدافعة عن القيم. للأسف، في سنة 2006، عادت هذه المجموعة إلى الديمقراطيين.

والاعتبارات ليست سياسية فقط. تحتاج المزيد من الكنائس البروتستانتية لتعلم اللغة والثقافة الإسبانيتين، ويحتاج المزيد من الكاثوليك إلى معرفة ما دفع بـ «قاعدتهم» إلى اعتناق العنصرة. هناك حاجة لشبكات اجتماعية جديدة بشكل كامل، بما في ذلك تلك التي تخص الشبان. يصلي الناس بطرق مدهشة، وصلوات من كل التقاليد ترتفع بلغات جديدة.

المسلمون المعتدلون

منذ 9/11 لم يكن الوضع سهلاً على المسلمين في أمريكة. لدى نصف الأمريكيين تقريباً نظرة سلبية عن الإسلام. عندما سُئلوا أن يصنّفوا كل الأديان الرئيسة، لم تأتِ سوى الطريقة العلمية (حركة دينية تدّعي أنها تشفي الإنسان من أمراض الجسد والعقل) خلف الإسلام.

إذا كان المرء يعرف مسلماً على نحو شخصي، فستكون آراؤه معتدلة - لكن أكثر من ثلث الأمريكيين بقليل يعرفون مسلماً على نحو شخصي. يظن نصف الأمريكيين تقريباً (46 %) أن الإسلام يشجع على العنف أكثر من أي أديان أخرى - ارتفاعاً من 35 % كانوا يشعرون بتلك الطريقة بعد ستة شهور من هجمات 2001. يقول أكثر من نصف الأمريكيين: إن المسلمين لا يحترمون النساء. يقول 44 % : إن المسلمين متشددون جداً في معتقداتهم الدينية. يقول 22 % : إنهم لا يريدون مسلماً يسكن بجوارهم.

لكن إذا نظرت إلى المشهد الديمغرافي الحقيقي للمسلمين في أمريكة، فستجد صورة مغايرة تماماً.

يظن الأمريكيون أن المسلمين عنيفون؟ تؤيد نسبة ساحقة تبلغ 81 % من الأمريكيين المسلمين تنظيم حمل السلاح، مقارنة بنصف الأمريكيين فقط. المسلمون متشددون دينياً؟ 25 % من المسلمين يقولون: إنهم يؤدون شعائرهم الدينية الأسبوعية - يتطابق ذلك فعلياً مع نسبة 26 % من الأمريكيين الذين يقولون: إنهم يفعلون الشيء نفسه. يقول 40 % من المسلمين: إنهم معتدلون - يتطابق ذلك مع نسبة الأمريكيين بوجه عام.

في الواقع، إذا كنت سأصف لك مجموعة من الأمريكيين الذين يتزوجون بمعدل 70 %، يسجلون للتصويت بمعدل 82 %، يحصلون على إجازات جامعية بمعدل 59 %، ويكسبون بالمعدل أكثر من 50.000 دولار سنوياً - من برأيك ستكون تلك المجموعة؟

إنهم المسلمون المعتدلون في أمريكة. شبان، ويحبون العائلة، ومثقفون، وناجحون في عملهم، ونشيطون سياسياً.

آه - وعددهم يزداد. منذ الستينيات، عندما تم إلغاء حصص الهجرة التي كانت تفضل أولئك القادمين من أوروبة الشرقية، كان المسلمون يأتون إلى الولايات المتحدة بأعداد تزيد باستمرار، وعلى نحو رئيس إلى ميتشيغان، وكاليفورنيا، ونيويورك، ونيوجرسي. هناك أكثر من 1200 مسجد في أمريكة الآن، وقد ارتفع العدد من 450 سنة 1980. منذ سنة 1994، ازداد عدد المساجد 25 %. وعلى الرغم من أن هجرة المسلمين تراجعت بحدّة بعد الهجمات الإرهابية سنة 2001، إلا أنها عادت دون شك إلى ما كانت عليه: في سنة 2005، أصبح نحو 100.000 شخص من دول إسلامية مواطنين أمريكيين على نحو دائم وقانوني - أكثر من أي سنة أخرى منذ 1985.

مواقف المسلمين الأمريكيين مقارنة بمواقف السكان الأمريكيين بوجه عام

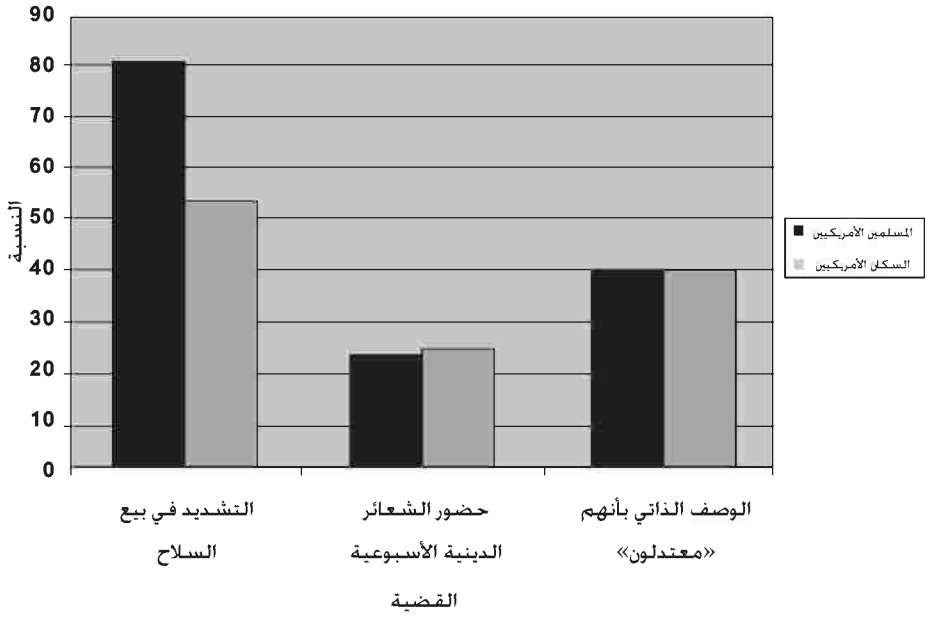

المصدر: مشروع استطلاع مابس/زغبي MAPS/Zogby, 2004؛ هاريس إنتراكتيف، 2005، 2006؛ غالوب Gallup, 2004

لا يتفق الخبراء على عدد المسلمين الذين يعيشون فعلاً في أمريكة- بحساب المهاجرين المسلمين، وذرياتهم، والأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام، ستتراوح التقديرات من 2 إلى 7 ملايين شخص. لكن لا يجادل أحد بأن المسلمين يزدادون ليس بالعدد فقط وإنما بالتأثير السياسي أيضاً. في التسعينيات، أعلنت مجموعة تدعى «اتحاد المسلمين الأمريكيين» عن خطة لإيصال 2000 مرشح إلى مناصب أمريكية مختلفة بحلول العام 2000. أوصلت المجموعة نحو 700 مرشح قبل الانحدار الشديد سنة 2001 - لكن في 2006، أصبح كينيث إيلسون من مينسوتا أول مسلم يتم انتخابه لمجلس النواب.

لا تكمن الدلالة الحقيقية في زيادة نفوذ الجالية المسلمة في تغير عدد المسلمين، وإنما في إمكانية التغيير ضمن الجالية المسلمة التي قد تأخذ أشكالاً متعددة. في حين يزداد عدد الأمريكيين المسلمين، ستحدد الخيارات الداخلية التي يتبناها هؤلاء مكانة الإسلام في أمريكة، التي يمكن أن يكون لها، ببعض الطرق الصغيرة، تأثير في مكانته في العالم.

حتى الآن، تغير اتجاه المسلمين الأمريكيين 180 درجة في الانتخابات الرئاسية. في سنة 2000، دعم أغلبيتهم الجمهوري جورج دبليو. بوش ضد الديمقراطي آل غور؛ وفي الانتخابات اللاحقة سنة 2004، صوّت أكثر من 75 % منهم للديمقراطي جون كيري ضد جورج دبليو. بوش. بالطبع، في السنوات التي تخللت تلك المدة، قاد بوش حملات غزو أفغانستان والعراق بعد أحداث 9/11 التي عدها معظم المسلمين هجمات ليس على الإرهاب وإنما على الإسلام – لهذا فإن تحولهم، بالرغم من أنه كبير، إلا أنه مفهوم.

لكن الأمريكيين سجلوا ملاحظة: المسلمون ناخبون متأرجحون ضمن جاليتهم، أيضاً.

في سنة 2004، وجدت دراسة أجراها معهد «الفهم والسياسة الاجتماعية» الذي يتخذ من ميتشيغان مقراً له، لمرتادي المساجد في منطقة ديترويت، التي تحتضن واحدة من أكبر الجاليات المسلمة في الولايات المتحدة، أن 65.000 أو نحو ذلك من مرتادي المساجد، أي 38%، «يفضلون انتهاج مقاربة مرنة» في ممارساتهم الدينية. نحو العدد نفسه - 36% -

كانوا «محافظين» (بمن فيهم 8% الذين يتم وصفهم بالسلفيين، المجموعة الأكثر تشدداً، التي تمارس التمييز على أساس الجنس بوصفه قانوناً إلهياً، وتظن أن غير المسلمين سيذهبون إلى جهنم).

المميز هنا، بالرغم من ذلك، أن الربع الباقي من المسلمين الذين يواظبون على الذهاب إلى المساجد يمكن إقناعه - ليتحول إما إلى «معتدل» أو «محافظ». يدعوهم م. أ. مقتدر خان، عالم سياسة نشر الدراسة المذكورة آنفاً ومدافع رئيس عن الإسلام المعتدل، «المستقلين». بوصفي شخصاً يعمل في تنظيم استطلاعات الرأي، سأدعوهم «متأرجحين».

يبدو أن مستقبل الإسلام في أمريكة يعتمد عليهم. إذا قرروا أن يصبحوا متشددين، فربما سيظهر المسلمون في أمريكة وفقاً للنمط القديم الراسخ في الأذهان - معزولين وفقاً للجنس، وغير منفتحين نحو أديان أخرى. لكن إذا أصبح المسلمون المتأرجحون «معتدلين»، فقد يكون هناك بذور لإعادة تشكيل حقيقي للإسلام في هذا البلد يمكن أن تعمل لسد الفجوة بين المسلمين وغير المسلمين ليس في أمريكة فقط، وإنما في كل أنحاء العالم أيضاً.

وربما يشكلون أيضاً مجموعة أكبر كثيراً مما تشير إليه الدراسة؛ لأنها لم تصل سوى إلى المواظبين على الذهاب إلى المساجد فقط. يفترض أن يكون الثلثان الآخران اللذان لا يواظبان على الذهاب إلى المسجد أكثر انفتاحاً نحو الاعتدال. لهذا إذا أخذت في الحسبان أولئك الذين لا يذهبون إلى المسجد، والمواظبين على الذهاب إلى المسجد، والمتأرجحين، وافترضت وجود 4 أو 5 ملايين مسلم (متوسط تقديرات الخبراء) - تحصل بسهولة على ما يزيد عن 3 ملايين مسلم معتدل.

تحاول بعض المؤسسات حشد قواهم. تشكل «المؤتمر الإسلامي الأمريكي» بعد 9/11 للتنديد بالإرهاب الإسلامي والترويج لوجود المسلمين المعتدلين في الولايات المتحدة. كان شخص يعمل بأسلوب مارتن لوثر ويدعى كمال نواش قد أطلق «اتحاد المسلمين الأحرار» للتنديد بالعنف الديني والإرهاب على نحو أكبر مما كانت تفعله منظمات المسلمين بعد 9/11.

كان البنتاغون نفسه قد أطلق حملة مكثّفة لتجنيد أمريكيين مسلمين في القوات المسلحة الأمريكية، وتعيين أئمة لوعظهم، والاحتفال بأعياد المسلمين، وضمان وجود غرف صلاة للمسلمين في ويست بوينت (الأكاديمية العسكرية الأمريكية) ومدارس أخرى.

لا أعرف من سيكسب قلوب المسلمين المعتدلين في أمريكة.. لكن مهما يكن الذي يفعل ذلك، فإنه سيغيّر من وجهة النظر الأمريكية في الجالية المسلمة وربما يساعد في صعود قادة عالميين يسدون الفجوة بين الشرق والغرب. ربما يكون لدى المسلمين القاطنين في الولايات المتحدة خصائص تجعلهم أكثر وداً للثقافة الغربية مما يحدث في أوروبة (انظر لاحقاً). أو ربما يتذكر المسلمون الأمريكيون بامتنان كيف تصدت أمريكة بقوة للصرب، واتخذت مواقف عسكرية مناصرة للمسلمين في البوسنة وكوسوفو. مهما يكن السبب، الفرق بين الجاليات المسلمة في أمريكة وأوروبة صارخ. لكن السياق المستقبلي للإسلام الأمريكي غير محدد البتة، وستكون الطريقة التي ينظر بها المسلمون المعتدلون لكل من الوحدة الأهلية والسياسة الخارجية الأمريكية عاملاً حاسماً للسلام في الداخل والخارج.

الصورة الدولية

بالرغم من أنه يمكن وصف العديد من المسلمين في الولايات المتحدة بالمعتدلين، إلا أن ذلك أقل صحة في أوروبة.

يشكل المسلمون ما يصل إلى 5 % من عدد سكان الاتحاد الأوروبي، أو 15 إلى 18 مليون شخص - أكبر بعدّة أضعاف من عدد المسلمين الذين يُقدّر أنهم يعيشون في الولايات المتحدة. لكن ذلك العدد ينمو بسرعة؛ نظراً لمعدلات الهجرة العالية وحقيقة أن نسبة ولادات المسلمين أكبر بثلاثة أضعاف من الأوروبيين غير المسلمين. بحلول سنة 2015، يُتوقع أن يتضاعف تقريباً عدد المسلمين في أوروبة، وربما يصبح المسلمون قريباً أغلبية في عدّة مدن أوروبية رئيسة.

لسوء الحظ، قد يؤدي نمو عدد السكان المسلمين إلى بث الشقاق في أوروبة وليس إثراءها. وجدت دراسة قام بها معهد بيو Pew بعنوان: «مشروع المواقف العالمية» عن المسلمين في أوروبة، أنه على الرغم من أن المسلمين الأوروبيين يعبرون عن مواقف أكثر إيجابية عن الغرب مقارنة بالمسلمين الذين يعيشون في دول إسلامية، إلا أن مجموعات كبيرة من المسلمين الذين يعيشون في فرنسة، وإسبانية، وألمانية يصفون الغربيين بأنهم «أنانيون»، و«متغطرسون»، و«عنيفون»، و«طمّاعون»، و«غير أخلاقيين»، و«متعصبون». والشعور متبادل: يعد 83 % من الإسبان، 78 % من الألمان أن المسلمين «متعصبون». (يتفق مواطنو المملكة المتحدة وفرنسة على ذلك بنسبة أقل تبلغ نحو 50 %).

جذور التوتر اقتصادية وثقافية. نسبة العاطلين عن العمل في الجالية التركية في ألمانية 24 % - أعلى بمرتين ونصف المرتبة من المعدل الوطني. تصل نسبة بطالة الوافدين من شمال إفريقيَّة في فرنسة إلى 30 % - أعلى بثلاثة أضعاف من المعدل الوطني.

ويلوح شبح الإرهاب. وفقاً لدراسة بيو Pew مجدداً، أغلبية المسلمين في فرنسة، وألمانية، وإسبانية منقسمون بالتأكيد حول ما إذا كان العرب مسؤولين عن تفجير طائرات في مركز التجارة العالمي في 9/11 - ويقول 56 % من المسلمين في بريطانية: إنهم لم يكونوا مسؤولين. ربما يكون الأكثر مدعاة للقلق أن نحو 1 من كل 7 مسلمين في فرنسة، وبريطانية العظمى، وإسبانية يظنون أنه يمكن تبرير التفجيرات الانتحارية للدفاع عن الإسلام.

يبدو منطقياً أن يكون المسلمون الأمريكيون أكثر اعتدالاً - أولئك الذين يقطعون كل تلك المسافة للوصول إلى هنا ربما يكونون أكثر انجذاباً للقيم الأمريكية من أولئك الذين يقطعون مسافة جغرافية وثقافية أقصر إلى أوروبا الغربية. لكن ذلك ربما يجعل الأمريكيين أكثر اهتماماً بالتواصل الإيجابي مع المسلمين الذين يُعدّون، خاصة المتأرجحين، معتدلين.